

# كفى بالموت واعظا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب على عباده الموت والفناء، وتفرد سبحانه بالحياة والبقاء، والصلاة والسلام على من ختمت به الرسل والأنبياء وعلى آله وأتباعه إلى يوم اللقاء .

فإن الموت لا ريب فيه، ويقين لا شك فيه (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه  
تحيد) ق: ١٩ فمن يجادل في الموت وسكرته؟! ومن يخاصم في القبر وضمته؟! ومن يقدر  
على تأخير موته وتأجيل ساعته؟! (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)  
الأعراف ٣٤

فلماذا تتكبر أيها الإنسان وسوف تأكلك الديدان!؟

ولماذا تطفى وفي التراب ستلقى!؟

ولماذا التسويف والغفلة وأنت تعلم أن الموت يأتي بغتة!؟

(كل نفس ذائقة الموت) آل عمران: ١٨٥ (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال

والإكرام) الرحمن: ٢٦، 27 (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) القصص: ٨٨

## حقيقة الموت

أخي المسلم:

يخطئ من يظن أن الموت فناء محض وعدم تام، ليس بعده حياة ولا حساب ولا حشر ولا نشر ولا جنة ولا نار . إذ لو كان الأمر كذلك لا نتفت الحكمة من الخلق والوجود، ولاستوى الناس جميعاً بعد الموت واستراحوا، فيكون المؤمن والكافر سواء، والقاتل والمقتول سواء، والظالم والمظلوم سواء، والطائع والعاصي سواء، والزاني والمصلي سواء، والفاجر والتقي سواء، وهذا مذهب الملاحدة الذين هم شر من البهائم، فلا يقول ذلك إلا من خلع رداء الحياء، ونادى على نفسه بالسفه والجنون. قال تعالى: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) التغابن: ٧ وقال سبحانه: (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) يس ٧٨، ٧٩

ولو أنا إذا متنا تركنا	لكان الموت غاية كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا	ونسأل بعده عن كل شيء

فالموت هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقتها له، والانتقال من دار إلى دار، وبه تطوى صحف الأعمال، وتنقطع التوبة والإمهال، قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم وابن حبان.

### الموت أعظم المصائب

والموت من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى مصيبة في قوله سبحانه: (فأصابكم مصيبة الموت) المائدة: ١٠٦ فإذا كان العبد طائعاً ونزل به الموت ندم أن لا يكون ازداد

وإذا كان العبد مسيئاً تدم على التفريط وتمنى العودة إلى دار الدنيا، ليتوب إلى الله تعالى، ويبدأ العمل الصالح من جديد. ولكن هيهات هيهات!! قال تعالى: (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) فصلت: ٢٤ وقال سبحانه (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) المؤمنون:

٩٩،١٠٠

يا أسير الغفلات	قد مضى العمر وفات
مسرعاً قبل الفوات	حصّل الزاد وبادر
عن أمور واضحات	فإلى كم ذا التعامى
فى بحار الظلمات	والى كم أنت غارق
بـالزواجـر والعظـمات	لم يكن قلبك أصلاً
عن أخيه قيل مات	بينما الإنسان يسأل
سرعة للفتوات	وتراهم حملوه
حسرة بالعبوات	أهلته يبكوا عليه
بالجساد الصافيات	أين من قد كان يفخر
كالجبال الراسيات	ولله مال جزيل
للقبور الموحشات	سار عنها رغم أنف
من عظام ناخرات	كم بها من طول مكث
بالتقى قبل الممات	فاغتم العمر وبادر
ترتجى منه الهبات	واطلب الغفران ممن

### عبرة الموت

يروى أن أعرابياً كان يسير على جمل له، فخر الجمل ميتاً، فنزل الأعرابي عنه، وجعل يطوف به ويتفكر فيه، ويقول: ما لك لا تقوم؟

مالك لا تتبعث؟  
هذه أعضاؤك كاملة !!  
وجوارحك سالمة !!  
ما شأنك ؟  
ما الذي كان يحمك ؟  
ما الذي صرعتك ؟  
ما الذي عن الحركة منعك ؟  
ثم تركه وانصرف متعجباً من أمره، متفكراً في شأنه!!

قال ابن السماك: (بينما صياد في الدهر الأول يصطاد السمك، إذ رمى بشبكته في البحر،  
فخرج فيها جمجمة إنسان، فجعل الصياد ينظر إليها ويبكي ويقول:  
عزيز فلم تترك لعزك !!  
غني فلم تترك لغناك !!  
فقير فلم تترك لفقرك !!  
جواد فلم تترك لجودك !!  
شديد لم تترك لشدتك !!  
عالم فلم تترك لعلمك !! يردد هذا الكلام ويبكي

اذكروا هادم اللذات

أخي الكريم :

حث النبي صلى الله عليه وسلم على ذكر الموت والإكثار منه، فقال عليه الصلاة والسلام : (أكثرُوا ذكر هادم اللذات) الترمذي وحسنه.

قال الإمام القرطبي: (قال علماؤنا: قوله عليه السلام: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات» كلام مختصر وجيز، وقد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيتها في المستقبل، وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة، تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات» مع قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت) آل عمران: ١٨٥ ما يكفي السامع له، ويشغل الناظر فيه.

ولقد أحسن من قال:

وتجهز لمصرع سوف يأتي

أذكر الموت هادم اللذات

وقال غيره:

في ادكار الموت تقصير الأمل

أذكر الموت تجد راحة

## أولئك الأكياس

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبي الله! من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال: (أكثرهم ذكراً

للموت، وأكثرهم استعداداً للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة)  
الطبراني وحسنه المنذري

فوائد ذكر الموت

أخي الحبيب :

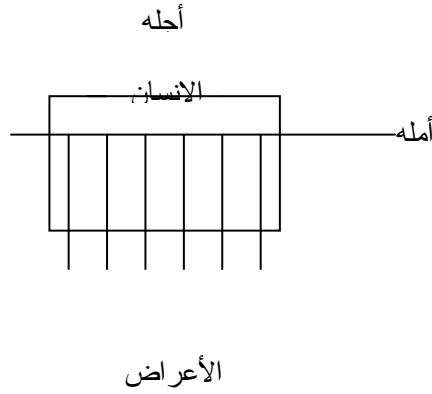
وفي الإكثار من ذكر الموت فوائد منها :

- ١ - أنه يحث على الاستعداد للموت قبل نزوله.
- ٢ - أن ذكر الموت يقصر الأمل في طول البقاء. وطول الأمل من أعظم أسباب الغفلة.
- ٣ - أنه يزهد في الدنيا ويرضي بالقليل منها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلس وهم يضحكون فقال: (أكثرُوا ذكر هادم اللذات) أحسبه قال: (فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا في سعة إلا ضيقه عليه) البزار وحسنه المنذري.
- ٤ - أنه يرغب في الآخرة ويدعو إلى الطاعة .
- ٥ - أنه يهون على العبد مصائب الدنيا .
- ٦ - أنه يمنع من الأشر والبطر والتوسع في لذات الدنيا .
- ٧ - أنه يحث على التوبة واستدراك ما فات .
- ٨ - أنه يرقق القلوب ويدمع الأعين، ويجلب باعث الدين، ويطرد باعث الهوى.
- ٩ - أنه يدعو إلى التواضع وترك الكبر والظلم.
- ١٠ - أنه يدعو إلى سل السخائم ومسامحة الإخوان وقبول أذارهم.

### أنفاس معدودة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في

الوسط، فقال: (هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به- أوقد أحاط به - وهذا الذي هو خارج  
أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه  
هذا) البخاري  
وهذه صورة ما خط:



وقال القرطبي: (وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زمن معلوم، ولا  
مرض معلوم، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً لذلك)

وكان بعض الصالحين ينادي بليل على سور المدينة: الرحيل الرحيل. فلما توفي فقد  
صوته أمير المدينة، فسأل عنه فقيل: إنه قد مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره                      حتى أناخ ببابه الجمال  
فأصابه مستيقظاً متشمرأً                      ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: (ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا  
يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى ربك عنك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس! ألا  
تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه .. والقبر بيته .. والتراب  
فراشه .. والدود أنيسه .. وهو مع هذا ينتظر الفرع الأكبر .. كيف يكون حاله؟ ) ثم يبكي  
رحمه الله

بينما الفتى مرح الخطا فرح بما  
 إذ قيل بات بليلة ما نامها  
 يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى  
 إذ قيل أصبح مثخنا ما يرتجى  
 ومعللا إذ قيل أصبح قد مضى  
 إذ قيل أصبح شاخصا وموجهها

وقال التميمي: (شيطان قطعاً عني لذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدي الله تعالى)

وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذكرون الموت والقيامة والآخرة، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة!!

وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويق التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة)

وقال الحسن: (إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا عيشاً لا موت فيه)

أذكر الموت ولا أرهبه	إن قلبي لغليظ كالحجر
أطلب الدنيا كأني خالد	ورائي الموت يقفو بالأثر
وكفى بالموت فاعلم واعظاً	لمن الموت عليه قدر
والمنايا حوله ترصده	ليس ينجي المرء منهن المفر

### موعظة

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما عدله. كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهازماً للذات، وقاطعاً للأمنيات.

فيا جامع المال! والمجتهد في البنيان ! ليس لك والله من مالك إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ هل أنقذك من الأهوال؟ كلا.. بل تركته إلى من لا يحمذك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك.

ولقد أحسن من قال في تفسير قوله تعالى : (ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص: ٧٧ هو الكفن، فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) القصص: ٧٧ أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة، لا في الطين والماء، والتجبر والبغي، فكأنهم قالوا: لا تنس أن تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن.

ونحو هذا قال الشاعر :

فيها النعيم وفيها راحة البدن  
هل راح منها بغير القطن والكفن؟!

هي القناعة لا تبغ بها بدلاً  
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها

فيا أخي الحبيب :

أين استعدادك للموت وسكرته؟

أين استعدادك للقبر وضمته؟

أين استعدادك للمنكر والنكير ؟

أين استعدادك للقاء العلي القدير ؟

وقال سعيد بن جبير: (الغرة بالله أن يتمادى الرجل بالمعصية، ويتمنى على الله المغفرة)

تزود من التقوى فإنك لا تدري  
فكم من صحيح مات من غير علة  
وكم من صبي يرتجى طول عمره  
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر  
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر  
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

الأسباب الباعثة على ذكر الموت

- ١- زيارة القبور، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) أحمد وأبو داود وصححه الألباني.
- ٢- زيارة مغاسل الأموات ورؤية الموتى حين يغسلون.
- ٣- مشاهدة المحتضرين وهن يعانون سكرات الموت وتلقينهم الشهادة.
- ٤- تشييع الجنائز والصلاة عليها وحضور دفنها.

- ٥- تلاوة القرآن، ولا سيما الآيات التي تذكر بالموت وسكراته كقوله تعالى: (وجاءت سكرة الموت بالحق) ق: ١٩
- ٦- الشيب والمرض، فإنهما من رسل ملك الموت إلى العباد.
- ٧- الظواهر الكونية التي يحدثها الله تعالى تذكيراً لعباده بالموت والقُدوم عليه سبحانه كالزلازل والبراكين والفيضانات والانهيّارات الأرضية والعواصف المدمرة.
- ٨- مطالعة أخبار الماضين من الأمم والجماعات التي أفنّاهم الموت وأبادهم البلى.

### سكّرات الموت وشدّته

أخي المسلم:

إنّ للموت ألماً لا يعلمه إلاّ الذي يعالجه ويذوقه، فالميم ينقطع صوته، وتضعف قوته عن الصياح لشدة الألم والكرب على القلب، فإنّ الموت قد هد كل جزء من أجزاء البدن، وأضعف كل جوارحه، فلم يترك له قوة للاستغاثة أما العقل فقد غشّيته وسوسة، وأما

اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد أضعفها، ويود لو قدر على الاستراحة بالأتين والصياح، ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت له قوة سمع له عند نزع الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقه وصدرة، وقد تغير لونه، وأزبد، ولكل عضو من أعضائه سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة، حتى تبلغ روحه إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها، وتحيط به الحسرة والندامة إن كان من الخاسرين، أو الفرح والسرور إن كان من المتقين.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ركوة أو علبه فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء، فيمسح بها وجهه ويقول: (لا إله إلا الله إن للموت سكرات) البخاري وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول عند موته: (اللهم أعني على سكرات الموت) أحمد والترمذي وحسنه الحاكم. والسكرات هي الشدائد والكربات وتشديد الله تعالى على أنبيائه عند الموت رفعة في أحوالهم، وكمال لدرجاتهم، ولا يفهم من هذا أن الله تعالى شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة والمخطئين، فإن تشديده على هؤلاء عقوبة لهم ومواخظة على إجرامهم، فلا نسبة بينه وبين هذا.

فيا أيها المغرور:

فما لك ليس يعمل فيك وعظ	ولا زجر كأئك من جماد
ستندم إن رحلت بغير زاد	وتشقى إذ يناديك المنادي
فلا تأمن لذي الدنيا صلاحا	فإن صلاحها عين الفساد
ولا تفرح بمال تقتنيه	فإنك فيه معكوس المراد
وتب مما جنيت وأنت حس	وكن متبها قبل الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم	لهم زاد وأنت بغير زاد؟!!

يا كثير السيئات غداً ترى عملك، ويا هاتك الحرمات إلى متى تديم زللك؟ أما تعلم أن الموت يسعى في تبديد شملك؟ أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعلك؟ واعجبا لك من راحل تركت الزاد في غير رحلك!! أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك؟ أما بارزت بالقبيح فأين الحزن؟ أما علمت أن الحق يعلم السر والعلن؟ ستعرف خبرك يوم ترحل عن الوطن، وستنتبه من رقادك ويزول هذا الوسن.

قال يزيد بن تميم : (من لم يردعه الموت والقرآن، ثم تناطحت عنده الجبال لم يرتدع !!

## رسل ملك الموت

ورد في بعض الأخبار أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت: أما لك رسول تقدمه بين يديك، ليكون الناس على حذر منك؟ قال: نعم، لي والله رسل كثيرة: من الإعلال، والأمراض، والشيب، والهموم، وتغير السمع والبصر.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
(أعذر الله إلى امرئ بلغه ستين سنة)

وأكبر الأعدار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم، لئتم حجته عليهم كما قال سبحانه: (وما كنا  
معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء: ١٥ وقال سبحانه: (وجاءكم النذير) فاطر: ٣٧ قيل:  
هو القرآن وقيل: الرسل وقال ابن عباس: هو الشيب.

## كيف ماتوا ؟

أخي الحبيب :

إعلم أن حسن الخاتمة لا تكون إلا لمن استقام ظاهرة وصلح باطنه، أما سوء الخاتمة  
فإنها تكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما  
غلب عليه ذلك حتى ينزل به الموت قبل التوبة، أو يكون مستقيماً ثم يتغير عن حاله،  
ويخرج عن سننه، ويقبل على معصية ربه، فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته، والعياذ بالله .

## صور من سوء الخاتمة

قيل لرجل عند الموت: قل لا إله إلا الله، وكان سمساراً، فأخذ يقول: ثلاثة ونصف.. أربعة ونصف.. غلبت عليه السمسة.  
وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا وكذا، والبستان الفلاني أعملوا فيه كذا، حتى مات.

وقيل لأحدهم وهو في سياق الموت: قل لا إله إلا الله، فجعل يغني، لأنه كان مفتوناً  
بالغناء، والعياذ بالله.

وقيل لشارب خمر عند الموت: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: اشرب واسقني نسأل الله  
العافية.

### صور من حسن الخاتمة

دخل صفوان بن سليم على محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال له: يا أبا عبد الله! كأنني  
أراك قد شق عليك الموت، فما زال يهون عليه ويتجلى عن وجه محمد، حتى لكان وجهه  
المصابيح، ثم قال له: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك، ثم مات .

وقال محمد بن ثابت البناني: ذهبت ألقن أبي وهو في الموت فقلت: يا أبت! قل لا إله إلا الله. فقال: يا بني، خل عني، فإني في وردي السادس أو السابع!!  
ولما احتضر عبدالرحمن بن الأسود بكى . فقيل له: مم البكاء؟ فقال: أسفاً على الصلاة والصوم، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات .  
وسمع عامر بن عبدالله المؤذن وهو في مرض الموت فقال: خذوا بيدي إلى المسجد، فدخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع ركعة ثم مات رحمة الله.

### رحلة الموت

غاب عنهم فنسوه  
المرء أفنته سنوه  
يبكي عليه أقربوه  
فقالوا أدركوه  
حركوه لقتلوه

رب مذكور لقوم  
وإذا أفنى سنيه  
وكان بالمرء قد  
وكان القوم قد ماتوا  
سائلوه كلموه

قوم قالوا أحرقوه  
مددوه غمضوه  
عجلوا لا تحبسوه  
كفناوه حنطوه  
أكفان قالوا فاحملوه  
د المنايا شيعوه  
قيل هاتوا واقبروه  
الأرض رهناً تركوه  
أوقروه أثقأوه  
أوحودود أفردوه  
أسلموه خافوه  
كان لم يعرفوه  
كان فيه لم يلوه

فإذا استيأس منه الـ  
حرفوه وجهوه  
عجلوه لرحيل  
ارفعوه غسلوه  
فإذا مالف في الـ  
أخرجوه فوق أعوا  
فإذا صلوا عليه  
فإذا ما استودعوه  
خلفوه تحت رمس  
أبعدوه أسحقوه  
ودعوه فارقوه  
وانثوا عنه وخالوه  
وكان القوم فيما

إعداد القسم العلمي بدار الوطن